قصر الأمير يوسف كال بين إعادة التوظيف والحفاظ على التراث
حالة دراسية بمدينة القاهرة

د.م. ناجية عبد المغني سعيد* م. أحمد إسماعيل المصري**

أولا: نبذة تاريخية عن القصر
تاريخ بناء القصر

القصر من قصور أحد أبناء الأسرة العلوية وهو قصر الأمير يوسف كمال بن أحمد كمال بن محمد رفعت بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا الكبير، أحد أحفاد محمد علي باشا الكبير ذلك الرجل الذي سعى لتكوين إمبراطورية مصرية في العصر الحديث. استطاع وإبنه إبراهيم باشا أن يترجم الحلم إلى حقيقة، وكاد أن ينجح في تحقيقه لولا وقوف القوى الكبرى في ذلك الوقت من أجل عدم استكمال مشروع تكوين الإمبراطورية المصرية.

بدأ الأمير "يوسف كمال" التفكير في بناء القصر سنة ١٩٠٨ واستغرق بناؤه ثلاثة عشر عاما أي أنه انتهى من بناؤه عام ١٩٢١، هذه المنطقة كانت زراعية لم تكن بها أحياء سكنية آنذاك، ولكن أثناء بناء القصر تحول مساحات من هذه المنطقة إلى ورش لأعمال البناء مرتبطة بصناعات ذات صلة ببناء القصر مثل ورش الرخام والأخشاب والحديد وغيرها، وبالتالي تحولت المنطقة إلى منطقة صناعية.

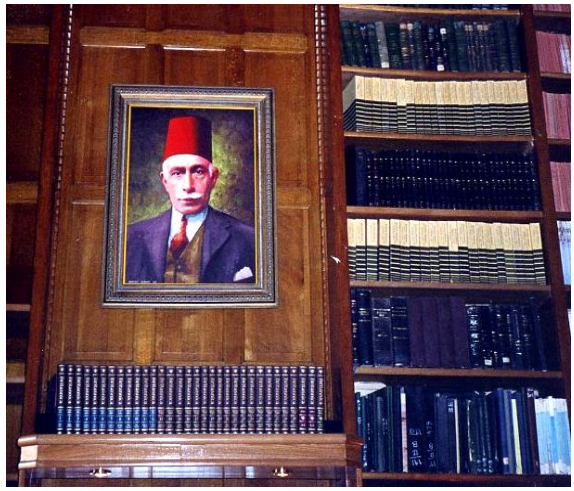

شكل رقم (١)
صورة للأمير "يوسف كمال" موجودة على أحد جدران مكتبة القصر

* استشاري الاسكان وعمارة البيئة.
** مساعد باحث بمركز بحوث الصحراء.

اشتهر الأمير يوسف كمال بأنه مؤسس مدرسة الفنون الجميلة سنة ١٩٠٥، وجمعية محبي الفنون الجميلة سنة ١٩٢٤.أشتهر بهوايته للصيد، وبالتالي فبعد ثورة يوليو ١٩٥٢ تحول هذا القصر إلى متحف حيث كان غنيا بكل مقتنيات الصيد والحيوانات المحنطة التي اصطادها أثناء رحلاته إلى أفريقيا كانت محنطة على الحوائط وفي أرضية الصالة الرئيسية للقصر. ومن الجدير بالذكر أن الأمير يوسف كمال امتلك العديد من الممتلكات في القاهرة والإسكندرية وصعيد مصر، منها قصر كان يقع بالإسكندرية في منطقة "الرمل" والعديد من العمائر السكنية، وفي صعيد مصر كان له قصرين أحدهما في نجع حمادي والآخر في آرمنت وكان يقضي شهرا من الصيف في هذين القصرين (خمسة عشر يوماً في كل قصر)، ويحوي هذا القصر لزائريه أن ذلك الأمير كان يعيش في عالمه الخاص بعيدا عن الأحداث السياسية، فهو كان من هواة الصيد ومن محبي الثقافة، ولا يرتبط هذا القصر بأحداث سياسية هامة.

موقع القصر.

يقع قصر الأمير يوسف كمال بالقاهرة في منطقة المطرية بجوار خط السكة الحديد القديم الذي تحول إلى خط مترو الأنفاق الواصل بين حلوان والمرج، ويحده شمالا شارع متحف المطرية، كما هو موضح بالشكل رقم (٢).

شكل رقم (٢)
خريطة مساحية تبين موقع قصر الأمير "يوسف كمال" بالمطرية
وقد أعيد توظيفه كمعهد ثم مركز لبحوث الصحراء

مصمم القصر.

شيده المعماري النمساوي الإيطالي انطونيو لاشياك Antonio Lasciac [1] وهو من أشهر المعماريين الإيطاليين الذين وفدوا إلى مصر في نهاية القرن الـ١٩ وبداية القرن الـ ٢٠. ولد انطونيو لاشياك سنة ١٨٥٦ وتوفى سنة ١٩٤١، تلقى تعليمه في فيينا بالنمسا وجاء إلى مصر سنة ١٨٨٢ عشية مهاجمة الإنجليز لثغر الإسكندرية، ويعد من أبرز المعماريين في عهد الخديوي عباس حلمي أخذ على عاتقه مهمة ترميم بعض المباني التي دمرها الإنجليز ومنها الحي الأوروبي وميدان محمد علي بالإسكندرية.

ثانيا: وصف القصر ومكوناته

القصر تحفة معمارية ذات ذوق رفيع يطل بواجهته على حديقة كانت في الأصل أكثر اتساعا من الآن، حيث كانت مساحة هذا القصر حوالي ١٤ فدانا. القصر تصميمه المعماري بطراز أوروبي، كما يبدو عندما ننظر إلى واجهة القصر الرئيسية، فالأعمدة والزخارف النباتية تظهر فيها روح التأثيرات الغربية، والقبة المفتوحة في أعلى العقد والتي تبدو أقرب إلى قرص الشمس حينما تشع بأنوارها على الكون. والأشكال رقم (٣)،(٤) توضح صور للقصر من الجهة الشمالية له.

الواجهة الشمالية الرئيسية لقصر الأمير يوسف كمال بالقاهرة

(1) http://www.egy.com/people/

شكل رقم (٤)
جزء من الواجهة الرئيسية لقصر الأمير "يوسف كمال"

أما عن السلم الخارجي فهو ذو تصميم جدير في ذلك القصر حيث يسبق شكل دائري كحوض للزرع يعلوه شكل دائري آخر يلتقي عنده طرفي السلم الخارجي أما المدخل الرئيسي الذي يؤدي إلى بهو الاستقبال الذي تطل أعمدة الطابق الثاني عليه بشموخ وكبرياء فتجعلك تشعر وكأنك في أحد المعابد الرومانية القديمة حيث تظهر تيجان الأعمدة هذه التأثيرات الأوروبية في زخارفها، ويتصدر هذا البهو سلم رخامي ذو فخامة في التصميم، حيث يبدو أكثر اتساعا في أوله ثم تضيق درجاته بعد ذلك حتى يفترق طرفي السلم عند البسطة الصغيرة، ويؤديان إلى الطابق الثاني، سقف البهو قبو مستمر. والأشكال رقم (٥)، (٦) يوضحان السلم الخارجي للقصر والشرفة التي تعلوه.

شكل رقم (٥)
الشرفة التي تعلو السلم وتطل حديقة القصر

شكل رقم (٦)
جانب من السلم الخارجي للقصر

تصميم القصر يجمع بين طراز النهضة الفرنسية مع طراز النهضة الإيطالية، وله أربع واجهات في الأربع اتجاهات الأصلية. تتميز الواجهات بأنها صممت بنظام الكتل البارزة والكتل الغائرة، فالواجهة الشمالية يتوسطها كتل مدخل يعلوها شرفة وهذه الشرفة يعلوها قبة هذا التصميم من الواجهات انتشر في طراز النهضة الإيطالية والفرنسية، بالإضافة إلى ما امتازت به الواجهات السمترية الشديدة، وعلى اليسار قاعة استقبال أخرى يشغلها حاليا مكتب رئيس مركز بحوث الصحراء، وهي قاعة خاصة بالأمير يوسف كمال، يتصدر أحد جدران هذه القاعة لوحة الأمير

يوسف كمال وبعض رفاقه أثناء إحدى رحلات الصيد. والأشكال رقم (٧)،(٨) توضح تفاصيل معمارية لشرفات القصر على الواجهة الرئيسية.

لقطات تبين تفاصيل معمارية لشرفات القصر

الطابق الثاني من القصر يشمل القاعات والحجرات الخاصة بالمعيشة ومنها قاعة ذات تأثيرات فنية صينية ظهر بها رسما للتنين في السقف إلى جانب بعض المظاهر الحياتية المختلفة.

على اليمين: القاعة العربية التي يسبقها غرفة الاستقبال بالتغطيات والعقود الخشبية التي تحيط بالباب الذي يفتح على فراندة (شرفة) القصر الخارجية وعلى النوافذ، كذلك السقف الذي تم تغطيته بالأخشاب والزخارف المحفورة في عدة مستويات وتغطى الجدران بأقمشة ذات ألوان وزخارف متكررة تحيط بها إطارات خارجية ويوجه بها أعمدة خشبية مضلعة يتصدر القاعة عقد بتصميم متميز يحيط بأحد نوافذ القاعة. وتوجد مدفأة من الرخام. وإذا نظرنا لأعلى نجد دوائر تشبه الشمس تحيط بها إطارات مذهبة هذا إلى جانب بعض الأشكال الزخرفية الأخرى. ويلي تلك القاعة قاعة الطعام وهي لا تقل فخامة من قاعات القصور الكبرى حيث ترى كل هذا الثراء في الزخارف والألوان على النوافذ الزجاجية. وعلى الأبواب وفي مختلف جدرانها وتوجد بها موائد رخامية تحملها أعمدة رقيقة ويوجد تجويف رخامي بزخارف جميلة كما يوجد بها تمثال لرجل بملامح إفريقية بقرنين من رأس أحد الحيوانات أما باقي الجدران فهي مجلدة بالرخام.هذا إلى جانب العديد من القاعات التي يظهر بها تغطية الجدران بالأقمشة والزخارف المختلفة ولا تخلو هذه الزخارف من تجميل السقف بلمسات فنية رائعة الجمال. والأشكال رقم (٩)، (١٠) توضح بهو المدخل والسلم الداخلي المؤدي للطابق الثاني.

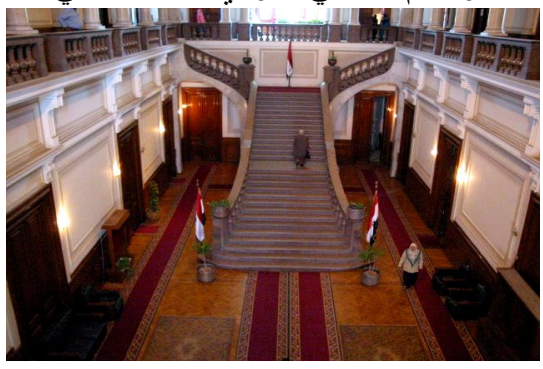

شكل رقم (٩)
صورة للسلم الرئيسي الداخلي في وضعه الحالي

شكل رقم (١٠)
صورة تبين بهو المدخل حاليا

الأشكال من (١١) إلى (١٤) توضح بعض الصور الأرشيفية التي التقطتها عدسة قناة التنوير التليفزيونية لبعض التفاصيل المعمارية للقصر.

شكل رقم (١١)

شكل رقم (١٢)

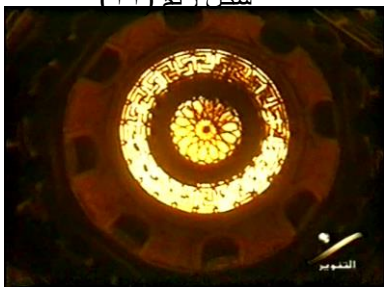

شكل رقم (١٣) شكل رقم (١٤)

أشكال تبين تفاصيل القاعات التي تفتح على بهو القصر

حينما ندخل إلى القاعة العربية فنحن نعيش في أجواء عصر المماليك حيث جمع الأمير يوسف كمال محتوياتها من قصور بعض المماليك القديمة وتنطق الصورة بجمال هذه القاعة وعندما ننظر إلى السقف لتبدو هذه القبة والتي يشع زجاجها بضوء الشمس وزخارفها، يتناغم جمال الحلبيات الخشبية مع جمال باقي العناصر الزخرفية وتتماثل القبة مع النافورة في خط يربط بين مركزيهما، وتشع في هذه القاعة التأثيرات العثمانية على بلاطات القيشاني وعلى أحد جدران هذه القاعة توجد نافذتان تأخذان الشكل المتطور من فن المشربية حيث تظهر الزخرفة الخشبية التي يغطيها الزجاج الملون فتبدو وكأنها قرص من صناعة النحل. القاعة في مجملها تحتاج إلى وقت طويل لاكتناف مظاهر الجمال فيها.

المكتبة

يضم القصر مكتبة متميزة تجمع صفات الأمير يوسف كمال كفنان وكصياد وكمثقف، ومقتنيات المكتبة التي تخص الأمير يوسف كمال مقتنيات ثمينة جدا أهمها النسخة الأصلية من كتاب وصف مصر، وموسوعة في إطار التاريخ الطبيعي عن الطيور في العالم من تأليف (جون هود) ومكتوبة باللغة الفرنسية طبعت سمة ١٧٧١، وتحتوي على صور ملونة يدويا، حيث أنه لم يكن وقت ذاك التصوير بالألوان، والأمير يوسف كمال له مؤلف كبير من ١٤ مجلد عن رحلاته وخرائط مصر وأفريقيا باللغة الفرنسية، وعمل له ملخصاً باللغة العربية وسماه خرائط مصر وآثارها، وتنفرد مكتبة القصر بهذه الموسوعة حيث لم يذكر أنها موجود في مكتبة أخرى، وأيضا من مقتنياته مجموعات من الموسوعات الفنية أهما موسوعة متحف فلورنسا أي أن كل محتويات متحف فلورنسا موجودة في أربعة مجلدات، والمتحف بالكامل مصور سواء اللوحات أو التحف التي به. الأشكال رقم(١٥)، (١٦).

شكل رقم (١٥)

شكل رقم (١٦)

صور فوتوغرافية لمكتبة قصر الأمير يوسف كمال

رابعا: استغلال القصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢.

هذا القصر عاصر العديد من الأحداث التاريخية التي غيرت تاريخ مصر ومنها معاهدة ١٩٣٦ وثورة يوليو. وبعد الثورة صودر ضمن العديد من أملاك الأسرة المالكة وتحول إلى متحف.

كان القصر يضم العديد من الحيوانات المحنطة والتي انتقلت فيما بعد إلى المتحف الزراعي، ولم يزل متحفا إلى أن تم تحويله إلى معهد لبحوث الصحراء، والذي أصبح مركزا لبحوث الصحراء ويستخدم القصر كمقر إداري للمركز، ومن المعلوم أن الأمير يوسف كمال وقت قيام الثورة كان موجودا في يخته عائدا من سويسرا حيث كان يقضي الصيف وعلم بنبأ قيام الثورة فرجع باليخت ولم يعود إلى مصر ثانية.

خامسا: التعديات والمخاطر التي هددت القصر وملحقاته

بعد مصادرة القصر وإعادة توظيفه كمعهد ثم مركز لبحوث الصحراء ومع نمو المركز وتشعب أقسامه وزيادة أعداد العاملين به وتكدسهم وظهور الحاجة إلى مزيد من الفراغات المبنية لمزاولة نشاط المركز تم إضافة العديد من المباني تدريجيا إلى حرم القصر، تنوعت في طرزها، وفي أغلب الأحيان لم تتوافق تلك الطرز مع الطابع العام للقصر، كما تم إنشاء إمتدادات رأسية وأفقية لملحقات القصر دون مراعاة الطراز الغالب لهذه الملحقات.

وكان من أخطر هذه التهديدات تعرض القصر لخطر تسرب مياه الصرف الصحي التي كادت أن تغرقه وتؤثر على أساساته. والأشكال رقم (١٧) إلى (٢٣) بعض المخاطر والتعديات التي تعرض لها القصر وملحقاته.

شكل رقم (١٧)
صورة أرشيفية توضح خطر الصرف الصحي
على قصر الأمير يوسف كمال قبل إنقاذه

كما تعرض القصر لتراكمات من المخلفات والأثاث المتهالك التي اكتظ بها الأسطح والشرفات.

شكل رقم (١٨)

شكل (١٩)

صور أرشيفية توضح تراكمات المخلفات على أسطح وشرفات القصر

شكل رقم (٢٢)
إضافات حديثة لملحقات قصر الأمير "يوسف كمال" انتقصت من
قيمتها التراثية

شكل رقم (٢٣)

مباني حديثة أضيفت في حديقة القصر وتعتبر تعديا على حرم القصر

الأشكال رقم (٢٤) إلى (٢٩) توضح مدى التباين بين المباني ذات القيمة والتغيرات السلبية في محيط القصر

شكل رقم (٢٥)

شكل رقم (٢٤)

بعض المباني ذات القيمة التي مازالت قائمة في محيط قصر الأمير يوسف كمال وهي شمال شارع متحف المطرية

شكل رقم (٢٧)

شكل رقم (٢٦)

كوبري علوي أنشئ حديثا فوق شارع متحف المطرية لعبور السيارات خط المترو وقد تسبب في إغلاق وحجب البوابة الرئيسية الأثرية لقصر الأمير "يوسف كمال" وقد استخدم اسفل الكوبري كجراج

شكل رقم (٣٠)

الوضع الحالي لقصر الأمير "يوسف كمال" وما طرأ على الحرم الأثري والمحيط الأثري من تغيرات حتى عام ٢٠٠٦[٢]

قصر الأمير يوسف كمال

سادسا: انتشال القصر وإنقاذه وإعادة الرونق له

في عام ٢٠٠٣ كان من الاهتمامات ذات الأولويه لـدى إدارة مـركز بـحوث الصحراء (برئاسة أ. د/ إسماعيل عبد الجليل) هي الاعتناء بهذا القصر والمحافظة عليه حتى إذا أتى الوقت الذي سيتحول فيه إلى اثر وجدته مصر في خير حال، فتمت العديد من أعمال الإصلاح في جنبات هذا القصر، منها إزالة المخلفات

[٢] مأخوذة من برنامج الخرائط Google Earth .

المتراكمة على أسطح الشرفات. وبالرغم من عظم المجهودات التي بذلت من أجل الحفاظ على هذه التحفة المعمارية من الداخل وفى المحيط الأثرى للقصر (حديقة القصر والأبنية المرفقة) إلا أنه يعد من أهم هذه الإنجازات هي "تغيير شبكة الصرف الصحي للقصر والمباني المحيطة" به حيث أن المنطقة الكائن بها القصر هي الأقل في منسوب الارتفاع عن ما يجاورها، الأمر الذي جعل منها مكانا لتجمع مياه الصرف الصحي اسفل القصر حتى تم تغير الشبكة للصرف الصحي بأكملها ومعالجتها بعوازل حتى لا تعود المياه للتجمع اسفل القصر الأمر الذي كان يهدد القصر بالانهيار خلال سنوات قليلة مقبلة كما ذكر بعض الخبراء في هذا المجال. وتوضح الأشكال من (٣١) إلى (٣٤) الجهد المبذول في ذلك. علما بأن كل الإصلاحات التي تمت في القصر كان يراعى فيها عدم حدوث أي تغيرات في صفات القصر كأثر اعتمادا على بعض الصور التي التقطت للقصر سابقا والمحفوظة في قصر عابدين وأيضا ما كتب عن القصر ضمن مكتبة الأمير يوسف كمال بذات القصر.

صور أرشيفية توضح تغيير شبكة الصرف الصحي المحيطة بالقصر وإزالة المخلفات من الشرفات

وقد شملت عملية الارتقاء بحرم الأثر إعادة بناء مسجد الصغير المقام في حديقة القصر بطراز يتلاءم إلى حد كبير مع الطراز المعماري للقصر. شكل رقم (٣٤). كما تم إزالة المخلفات والعهد المتهالكة من أجزاء كبيرة من الحديقة.

مبنى مسجد مقام فى حديثا فى حديقة القصر بطراز يتلاءم إلى حد ما مع الطابع العام للقصر

إيمانا من إدارة مركز بحوث الصحراء بأهمية الحفاظ على قصر الأمير يوسف كمال حقا تاريخيا لكل المصريين عملا بمقولة العالم الكبير الدكتور يونان لبيب رزق أن (التاريخ نوعان مقروء ومرئي) فحتى لا يتحول تاريخنا المصري إلى مقروء فقط يجب علينا الحفاظ على كل دلائل التاريخ .

وإدارة مركز بحوث الصحراء مقدرة لقيمة هذا القصر وقامت محاولات عديدة للخروج منه ليست كرفاهية ولكن حفاظا عليه تقديرا لقيمته وغيره من القصور.

وقد تم اختيار موقع جديد لمركز بحوث الصحراء في منطقة بالوظة شمال سيناء، وتم تصميم المركز الجديد بما يتلاءم ومتطلباته المعاصرة والمستقبلية، وبعد استكمال التشييد من المنتظر أن تنقل إليه أقسام المركز.

سابعا: رؤية مستقبلية

نأمل أن يتم توثيق القصر بتفاصيله المختلفة والسعي إلى تحويل هذا الأثر المتميز إلى مزارا ثقافيا وسياحيا وتضمينه محكى يعيد للأذهان ما كان عليه عند إنشائه، وكذلك ما كان عليه الحرم الأثري والمحيط. ويمكن التعاون مع مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي بالقرية الذكية في إعداد بانوراما تستخدم التقنية الحديثة للعرض، كما يمكن التفكير في معالجة واجهات المباني التي أضيفت في الحرم الأثري لتتلاءم مع الطابع العام للقصر أو إزالة بعضها بعد الدراسة المتأنية، ويا حبذا لو أمكن إزالة الكوبري العلوي وإعادة فتح وإبراز البوابة الرئيسية الأثرية والاكتفاء بالكباري العلوية الأخرى الموازية له في منطقة المطرية، أو الاستعاضة عن الكوبري بنفق سفلي للسيارات، ويستلزم ذلك دراسة مستفيضة للبدائل الممكنة واختيار البديل الأصلح. ومازال هناك ما يمكن عمله بالنسبة للترميم الدقيق لبعض العناصر والتشطيبات الداخلية للقصر ومعالجة وسائل التكييف الحديثة التي أدخلت عليه بما يتناسب وطابع الفراغات الداخلية. واستيحاء المعالجات من التفاصيل الدقيقة والجميلة الموجودة بالقصر.

شكر وتقدير

كل الشكر والتقدير لأسرة مركز أبحاث الصحراء، وخاصة الأستاذة الدكتورة/ سناء عبد العزيز لما قدمته من معاونة وإثارة للاهتمام بموضوع البحث.